المشرق

الديناميس الرومانية

خُلاصة خطاب القاهُ حضرة الاب دي لاروه اليسوعيّ في ٢ شباط ١٩١٠

واصحبهُ بنحو مائتي صورةٍ مكبَّرة بالانوار الكهربائية

انَّ عناية الله بكنيستهِ المقدَّسة لَعجيبةٌ لا يستطيع انكارها الَّا المكابر للحقّ الذي يغضّ بنظرهِ عن النور اللامع والضياء الساطع . فهذه الكنيسة الرومانيَّة المبنيَّة على اساس الصخرة المتينة التي لا تقوى عليها انواء الاضطهادات بل تعجز عنها ابواب الجحيم قد حفظت وديعة الايمان منذ تسعة عشر جيلًا دون ان تفقد منها ذرَّةً فلا يزال بطرس هامة الرسل جالساً على سفينتهِ في شخص خلفائهِ ضابطاً لسكَّانها مُنَجِّياً كنوح كلّ من التجأ اليها من تيَّار الطوفان العرمرم . ولا غرو فانَّ السماء والارض تزولان وكلام الربّ لا يزول (مرقس ١٣ : ٣١)

وقد قام في كل طور من اطوار التاريخ المسيحي في الشرق والغرب والشمال والجنوب مما رجال نوابغ قد ناضلوا عن هذه الحقيقة وأيَّدوها بالبراهين العقليَّة والنقليَّة بل استمات كثيرون في سبيلها وضحَّوا كل نفس ونفيس في بيان صحَّتها وسلسلة اولئك العلماء وهؤلاء الابطال الشهام تتَّصل دون انفصام الى عهد الكنيسة وايَّام الحواريين الابرار وتآليف الاوَّلين كآثار الآخرين باقيةٌ الى يومنا تشهد على ثبات الدين الكاثوليكيّ في معتقداتهِ التي تسلَّمها من مصدر الحق الكلمة المتجسِّد والنور الحقيقي الذي انحدر من سموّ عرشهِ لينير كل انسان آتٍ الى العالم (يوحنَّا ١ : ٩)

وكما ان الله سبحانهُ وتعالى كان لأخٍ في دفائن المصريين ومطامير البابليين الوفا

من الآثار الكتابيّة في القَلّين الهيروغليفيّ والمسماري صانها في قلب الارض لينشرها في زماننا من مَوَاتها لتشهد لاسفار موسى كليمهِ ولاخبار شعبهِ اسرائيل ولسائر تاريخ العهد القديم كذلك اراد عزّ وجلّ ان يكون في دياميس رومية عدداً لا يُحصى من الآثار الدينية بعثها من مكامنها لتشهد على صحّة دينهِ الالهي فينظر كل ذي عين انّ تعاليم الكنيسة الرومانية هي اليوم كما كانت في القرون الاولى للنصرانية وانّ بيعة المسيح وحدها بازاء الهرطقات واديان الزور لم تَحِدْ عن الطريق المستقيم الذي نهجهُ لها سيّدها لذكرهِ السجود

فهاكُمْ بنا نتجوّل ساعةً في تلك المفاوز الواسعة بل العالم الجديد الذي فتحهُ لنا الاثريّون المحدثون فنلقي بنظرنا في مجاهلهِ فنتحقّق اوّلاً تاريخهُ ثم موقعهُ وغايتهُ ثمّ محتوياتهِ العجيبة وما أُودعهُ من الآثار النفيسة ونُعمل الفكر آخرًا في تعاليمهِ الدينيّة

﴿ ما هي الدياميس ﴾ الدياميس في اللغة جمع ديماس وهو السرب يُنقّب تحت الارض دُعي بذلك لظلمتهِ . وقد يوجد في العالم دياميس كثيرة نُقب بعضُها لاستخراج ما فيها من المعادن الثمينة كالذهب والفضّة او المحصولات النافعة كالنعم الحجري ومقالع الرخام وصنوف الحجارة البنائية . على ان دياميس رومية تفوقها كلّها من حيث تاريخها وغايتها وهندستها وسعتها ومضامينها احتفرها النصارى الأوّلون بين القرن الاوّل للمسيح الى القرن الخامس ليودعوا فيها الرمس موتاهم ولاسيما شهداءهم المسيحيّين في سبيل الايمان بعد ان ذاقوا اصناف العذابات وضروب التنكيل موثرين الموت الزمني على السجود لأوثانٍ صمّاء ولطواغيت بكماء عدُوها رجساً وقذرًا فلم يحنوا الرُّكَب امامها خاضعين لذلّها

﴿ تاريخ الدياميس ﴾ لمّا قدم الرسولان العامتان بطرس وبولس الى حاضرة العالم الوثني في اواسط القرن الاوّل للمسيح ما لبث زرع الايمان الصحيح ان زكا ونما وانتشر اي انتشار حتى امكن بولس الرسول ان يقول في رسالتهِ الى اهل رومية (رو ١ : ٨) : « انّ ايمانكم يُبشَّر بهِ في العالم كلّهِ » . فبعد قليل ضرب المنون ضرباتهِ في جماعة المؤمنين فمات بعضهم حتف انفهم ومات غيرهم شهداء الايمان في مقدّمتهم بطرس وبولس وغيرهم كثيرون اعمل فيهم نيرون سيفهُ البتّار فقطع حبل حياتهم ظلماً . فأحسّ المؤمنون الاحياء بحاجتهم الى مدافن يرسون فيها اجساد موتاهم وكانت

عادة الرومانيين في ذلك الوقت ان يحرقوا الموتى فيودعون رمادهم في اوعيـة فاخرة يحفظونها في مدافن خاصة تقيمها كل أسرة لذويها لا يشاركها في ذلك غيرها البتة . وكان وسط القوم منهم يتخذون مدافن غيرهم اوسع من المدافن العائلية يشتركون في نفقاتها على شرط ان تودع فيها بقاياهم بعد موتهم . امّا الرعاع والفقراء فكانت رممهم تُلقى على المزابل مع الحيوانات وهو امر شهد عليه غير واحد من الكتبة وعيّر به النصارى قدماء الوثنيين

طمع المسيحيّون على اكرام الموتى اذ يعتبرون اجسادهم كآنية قدّستها الاسرار وسكنتها نفوس صالحة فحوّلتها الى هياكل حيّة الروح القدس وسوف تقوم من لحدها بعد حين لتشارك ارواحها في معاينة الله . فكان همّهم ان يتخذوا لتلك الاجساد منازل لائقة بها . واقدم ما نعلمهُ من ذلك في رومية مدافن عائلية جعلوها على مثال القبور اليهودية كانت كغُرَف يُدخل اليها من مداخل ضيقة وكان في باطنها شبه ايوان يجعلون في كلّ منها ميتاً مفرداً وفوق الميت صحيفة يُكتَب عليها اسمهُ . وكان غيرهم يودعون الميت في نواويس من الرخام او غيره ويتضدون تلك النواويس في الغرف السابق ذكرها فمن ذلك مدفن عائلة نصرانية شريفة تُدعى فلافيوس كان اهلهـا من الاسرة الملكية يقربون الى القيـاصرة ڤسپيان وطيطس ودومطيان ومات بعضهم شهداء في اواخر القرن الاوّل للنصرانية فمن ثمّ يُعَدُّون من بواكير الدعوة الرسولية في رومية

وكانت الحكومة الرومانية لا تتعرّض لانشاء تلك المدافن بل تجعلها تحت حمايتها وتعدُّها كالاماكن المقدّسة التي لا يجوز انتهاك حرمتها وذلك مع قطع النظر عن اديان اصحابها في حياتهم

على انّ عدداً وافراً من المسيحيين كانوا فقراء الحال او عبيداً في بيوت الاعيان فهؤلاء لم يمكنهم ان يقتنوا لهم مدافن كالوجوه والاغنياء الّا انّ اخوتهم المسيحيين ولاسيما خدمة الكنيسة سموا طاقة جهدهم بألّا يُحرموا الدفن اللائق . فحتّى الاغنياء المسيحيّ رضي قومٌ من ذوات النصارى الرومانيين ان يضيفوا في مدافنهم بعض الموزين ولهل الفاقة والصيد وقد ثبت ذلك باكتشاف مدافن لأشراف الرومانيين المتنصّرين فيها جُثث سادةٍ مسوَّدين وبقربهم خدم وعبيد كانوا يدينون بدينهم

لكنّ الكنيسة رأت بعد قليل انّ هذه المدافن الخاصة لا تفي بالمقصود وانّهـا

تحتاج الى مدافن اوسع فرأت لبلوغ غايتها طريقتين المقابر العموميَّة المكشوفة والمدافن المحفورة في قلب الارض . وكان العلماء يظنُّون سابقًا انَّ المدافن النصرانيَّة في روميـة كانت كلها في المطامير والأسراب الّا ان الاثريين المحدثين بعـد سئله (Settelé) والاب مركي (Marchi) اليسوعي تحقَّقوا انَّ النصارى قبروا كثيرين من موتاهم في مقابر علنيَّة في ربض المدينة وجوارها كمقبرة سانت قُنْسطَنْس ومقبرة سان ڤالنتان وغيرهما . وكان النصارى يقيمون على كل قبر عمودًا صغيرًا يكتبون عليه اسم الميت وجنسهُ وزمانهُ . الّا انَّ هذه المقابر قليلة بالنسبة الى الديناميس ولعلَّ معظمها قد درست آثارها لما طرأ على مدينة رومية من الخراب بعد دخول البرابرة . ثم انَّ الباقي منها يصعب افرازهُ من الآثار الوثنيَّة لانَّ النصارى لكثرة ما اصابهم من المحن بسبب دينهم ما كانوا ليستطيعوا ان يرسموا على قبورهم الرموز الدينيَّة الواضحة راغبًا كانوا يشيرون اليها اشارة بعيدة فقط ولذلك آثروا لاسيما في اوقات الاضطهادات ان يتَّخذوا القبور المحفورة في باطن الارض . فتلك الديناميس

وهنا بحثٌ لا بُدَّ من الخوض فيهِ أُترى الديناميس التي اكتشفها الاثريون هي من عمل النصارى او وجدوها محفورةً من قبلهم فاستملكوها اذ ألفوها سهلةً وقبروا فيها موتاهم . الجواب على ذلك انَّ العلماء الاوَّلين لمَّا رأوا اتساع الديناميس وعملها العجيب ذهبوا الى انَّها كانت قبل عهد النصارى وانَّها كانت المقالع التي استُخرجت منها حجارة مدينة رومية وبقيَّة مواد بنائها . وساد هـذا الرأي بين العلماء حتى ابطلهُ الاب مركي اليسوعي وبيَّن بالادلَّة القاطعة انَّ الديناميس شغل النصارى الاوَّلين لا فضل في حفرها لغيرهم الّا البعض القليل منها ممَّا لا يُعبأ بهِ . وكان اقوى براهينهِ انَّ الديناميس كلها محفورة في امكنة لا تصلح حجارتهـا للبناء لانَّ حجارة ابنية رومية من الحجر البركاني المتبع المدعو توف ليثويد (tuf lithoïde) او من الحجر الرملي المسمَّى پوزولان (tuf sablonneux, pouzzolane) امَّا ديناميس النصارى فمعظمهـا في طبقات الارض التي تتركَّب من الحجارة المحبَّبة (tuf granulaire) اللينة القليلة الصلابة . فهذه الحجارة يسهل قطعها ونحتها ولا يحسن البناء بها ففضَّلها النصارى على غيرها اذ رأوها اوفق لغايتهم لا يزاحمهم احد في شغلها ولا يطلب نحتُها زمنًا طويلًا . ولهم ايضًا مدافن اخرى قليلة نقروها في امكنة تتكوَّن طبقات ارضهـا من الحجارة

النهرية او البحرية وهي ايضاً لا تصلح للبناء . ففي كل ذلك دليل واضح على انّ هذه المدافن للمسيحيين لا يد لغيرهم في حفرها

ولنا غير ذلك من البيّنات التي تنفي كل ريب في نسبة حفر هذه الديامس الى النصارى فانّ مقالع الرومانيين القديمة موجودة الى اليوم ومن قابل بينها وبين مدافن المسيحيين وجد عدّة فروق تفرز تلك عن هذه في الهندسة والصورة والتقاطيع والآثار بحيث لا يبقى في الامر ادنى شكّ

وكان اوّل ما احتفر قدماء النصارى من هذه المقابر انما احتفروهُ تحت المدافن المكشوفة الخاصّة باعيان المتنصّرين فانّ هؤلاء حبّاً باخوتهم المشاركين لهم في الدين سمحوا لهم بان ينقبوا في اعماق ارضهم اسراباً لدفن موتاهم وكانوا ينزلون الى تلك المطامير بدرجات عديدة يبلغ بعضها من الخمسة عشر الى نحو الثلاثين متراً عمقاً فيتّسعون في حفرها على قدر حاجتهم وهم لا يحيدون عن حدود الارض التي تخصّ اصحاب الملك من النصارى . وكان ذلك يستدعي علماً مدقّقاً باصول الهندسة . ومن ثم كان يولّون ادارة الاشغال مهندسين نصارى حريصين على حسن العمل فيتلافون كل خطر من هبوط الارض او تخطّي حدودها الخارجة . فينقبون الاسراب على شكل الاقبية . امّا الموتى فكانوا يجعلون لهم أنقاباً يثقبونها في جدران تلك الاقبية يميناً وشمالاً على شبه المراقد وربّما اتّخذوا ثلاثة او اربعة انقاب الواحد فوق الآخر ثم كانوا يخصّصون كل قبر ويجعلون عليهِ صحيفةً ضريحيّة مكتوب عليها اسم الميت مع رموز دينيّة سرف نأتي على ذكرها

وكان هؤلاء المهندسون في اوّل الامر يتّسعون في تخطيط الديامس فيجعلون طرقها رحبةً الّا ان ازدياد عدد النصارى وكثرة موتاهم امّا استشهاداً واما حتف انفهم اضطرّ المهندسين أن يقرّبوا الجدران بعضها الى بعض حتى انّ المسالك بينها اصبح غالباً لا يزيد على الذراع الواحدة ومنها ما هو احرج من ذلك وقليل منها يتّسع رحبهُ حتى يبلغ متراً او ازيد

ثم وجد المهندسون طريقةً اخرى لسدّ الخلل فانّهم لم يكتفوا بتضييق المسالك بل فتحوا منافذ متعدّدة جعلوها طبقاتٍ في الارض يركب بعضها بعضاً فترى بعض الديامس كالبيوت لها ثلاث او اربع او خمس طبقات متشابهة الهندسة في كل طبقة منها الجدران المثقوبة الطرفين لوضع اجسام الموتى (اطلب الصورتين ١ و ٢)

ومع كل ذلك لم يلبث النصارى ان احتاجوا الى مدافن اخرى جعلوها في جهات مختلفة الّا انها كلها في خارج رومية اذ لم يُسمح لاحد في دفن موتاه في داخلها. والديامس موقعها على مسافة ميل الى ثلاثة اميال عن البلد. ولمّا تكاثر عددها رأت الكنيسة من الواجب ان تتولّى هي تدبيرها فجعلت لها نظّاراً من الشمامسة يقومون باعبائها و يوقفون الرؤساء على حاجاتها. وكانت الكنيسة بلغت منذ اواسط القرن الثاني للمسيح حالةً من الثروة كافية لاقتناء بعض الاملاك التي تخصّها بحفر المقابر فنظّمت احوالها وقامت بتدبيرها احسن قيام لاسيما في عهد البابا كالكستس في العشر الثاني من القرن الثالث. وكان تحت امر الكنيسة جماعة من الحفّارين يخصّون نفوسهم بخدمة اخوتهم بحفر المقابر فتسولهم الكنيسة وتُغنى بهم بصفة اكليريكيين بسطاء (انظر الصورة ٣)

﴿ اتّساع الديامس ﴾ وقد أتت هذه جماعة الحفّارين باعمال يحير لها العقل ولا يكاد يصدّقها السامع لولا الشواهد الناطقة بصحّتها. فقد عدّوا اليوم الديامس المعروفة في رومية فاذا هي تبلغ نحو المئة. ثم قاسوا ما حفروهُ في قلب الارض من الاسراب فوجدوا انّ طولها يبلغ نحو الف كيلومتر وعلى الاقلّ ٨٧٦ كيلومترًا كما اثبت الامر المهندس الايطالي ميشال دي روسي وهو لعمري طول غريب اذ يبلغ المسافة التي بين مرسيلية وباريس وبين دمشق الشام وبغداد

ولنا مثال عياني يشهد على صحّة قولنا فانّ دياس سنت اغنس الذي تمّ نقبهُ وحُفّت هندستهُ ولم يمسّهُ الدهر بأذًى كبير لا يتجاوز تكسير مساحته ١٦,٤٧٥ مترًا مربّعاً فانّ الحفّارين فتحوا فيه من الاسراب ١,٦٠٣ امتار تتراوح السعة بين جدرانها من ٧٥ الى ٩٠ سنتمترًا وقد بلغ عدد القبور الموجودة فيها ٥,٧٣٦ قبرًا

وليست الديامس كلها مسالك ضيّقة بل فيها ايضاً من مسافة الى اخرى غُرَف ونوادٍ على اشكال مختلفة منها مربّعة ومنها مستطيلة وبعضها على شكل مستدير وغيرها ذات زوايا مسدّسة او مثمّنة وكان النصارى يجتمعون فيها كل سنة في يوم تذكار الشهداء او في بعض المواسم الخاصّة ويقيمون فيها الرُتب الدينيّة بتصدُّر الحبر الاعظم الرومانيّ او احد الكهنة

وما كانت الديامس معابدَ النصارى كما زعم البعض لانّ كنائسهم كانت في

احياء المدينة اللهمَّ الَّا وقت الاضطهادات فانهم لم يجدوا امانًا على نفوسهم في الخارج فكانوا يجتمعون في الديناميس لاداء واجبات الدين فيها

فمن ثمَّ يمكن القارئ ان يحكم بنفسهِ ما بلغتهُ الديناميس من الشهرة فضلًا عن اتساعها العجيب اذ كانت اشبه بمدينة مطمورة حتى ان الاثريين دعوها برومية الثانية رومية الاسراب (Rome souterraine) فان الذي يدخل فيها يمشي الساعات الطويلة في اطرافها وربَّما ضاع فيها وهلك ان لم يصحبهُ دليل عارف بارجائها ومجاهلها

امَّا ﴿ زمن حفر الديناميس ﴾ فانهُ يتناول القرون الاربعة الاولى منذ دعوة الرسولين العامتين بطرس وبولس الى السنة ٤١٠ اذ دخل الوسيقوط رومية ونهبوها . فلم يَعُد اهل تلك الحاضرة يدفنون موتاهم في الديناميس بل في المقابر المكشوفة في خارج المدينة . على انَّ المسيحيين لم ينسوا ما كان يتعلَّق بمدافنهم من التذكارات الصالحة فكانوا يزورونها مرارًا في السنة ويتباركون بها الَّا ان بعض اهل الطامع جعلوا ينتهكون حرمتها فيفتحون القبور طمعًا في الامتعة الثمينة التي تتضمَّنهُ او ايضًا ليبيعوا اجساد الشهداء بيعًا خسيسًا . فلمَّا علم بالامر الاحبار الرومانيُّون امروا باستخراج ما يُعرَف فيها من جثث الصالحين فنقلوها بكل رونق الى الكنائس وجعلوها في اصونة ومشاهد فاخرة لاسيما الباباوات بسكال الاوَّل وغريغوريوس الرابع وسرجيوس الثاني في القرن التاسع . فمذ ذاك الحين اخذ يقلُّ عدد الزوَّار للديناميس بل اصبحت بعد قليل نسيًا منسيًّا فطُمرت وباد ذكرها الى القرن السادس عشر حيث انتبه اليها ارباب البحث الخريَّات جرت بقربها فجعلوا ينزلون الى اغوارها وينقبون عن شُعَبها ومضامينها . واشتهر بينهم الاثريّ الشهير بوزيو (Bosio) فقضى نيفًا وثلاثين سنة في درسها . واقتفى تلاميذهُ آثارهُ فاشتهر منهم ارنغي (Aringhi) وبولداتي (Boldetti) وعاد السكوت فساد على تلك المآثر الجليلة الى ان قام علماء القرن الماضي في مقدَّمتهم الاب ماركي ولاسيما تلميذهُ الذي فاق شهرةً كلَّ معاصريهِ حنا دي روسّي (G. B. de Rossi) والاب اليسوعي غاروتشي (Garrucci) والسيِّد ولبرت (G. Wilpert) والقانوني ماروكي (Marucchi) والاثري پول الار (P. Allard) وكلهم التآليف النفيسة التي يستقي من مواردها كل اهل البحث وقد وصفوا تلك الديناميس اوصافًا مدقَّقة يستضيء بنورها خلفاؤهم فيواصلون التفتيش فيها من بعدهم

﴿ محتويات الديناميس ﴾ انَّ اسم الديناميس يجلبُ عادةً لمخيّلة السامع بهِ ذكر شيءٍ يحزن القلب ويكدّر الخاطر اذ ان الديناميس كما قلنا المقابر وليس في ذكر المقابر ما يرتاح اليهِ الجنان وينشرح بهِ الصدر. على انَّ الامر في الواقع ليس كذلك فانَّ قدماء النصارى لرجائهم بالقيامة الاخيرة التي يبشّرهم بها الرسل ووجدوا عربونها في قيامة المسيح من الاموات اعلنوا بهذا الرجاء على ضروب شتّى فكادوا يحوّلون الديناميس الى مداخل الجنّة ويعتبرونها كممابر تُجيز بهم الى الافراح السرمديّة او كما قال الرسول (١ كور ١٥: ٤٣—٤٥) كزارع « يُزرع فيها الجسم بالفساد فيقوم بلا فساد يُزرَع بهوان ليقوم بالمجد يُزرع جسدًا حيوانيًا ليقوم جسدًا روحانيًا » وقد جاهروا بمعتقدهم هذا حتى في اسم الديناميس والمقابر التي كانوا يدعونها بالمراقد والمضاجع (κοιμητήριον) يريدون انَّ الموت كناية عن رُقاد ونوم ينتهي قريبًا بيقظة القيامة

ومما يدهش زوّار الديناميس أنهم لا يجدون فيها شيئًا مما يعلّل الحزن والكدر كتصاوير الموت المهولة وكالرموز المفجعة التي ألفها الوثنيّون من نقش الجماجم وهياكل الموتى وتشخيص تمثال الموت. وترى على خلاف ذلك النقوش المبهجة كالزهور والاغصان المورقة والاشجار بل ربَّما استعار النصارى من الوثنيين بعض الرسوم التي لم يجدوا في تصويرها بأسًا كصُوَر فصول السنة وصور الطاووس وعنقاء مغرب وصور ربّات الفنون الجميلة المدعوّات بالموز وكأورفاي اله الموسيقى وغير ذلك مما يظهر لاوّل وهلة كآثار وثنيّة لولا انَّ المسيحيين أوّلوا تلك التصاوير تأويل رمزيّة فازالوا عنها كل معنًى وثنيّ واشاروا بها الى معانٍ صالحة تقويّة فانهم بتمثيل أورفاي مثلًا وحولهُ السباع مسحورة بضربهِ للآلات أومأوا الى عمل المسيح بالنفوس وتهذيبهِ للارواح بعد شراستها وفقًا لقول النبيّ اشعيا عنهُ (١١: ٥—٧) انَّ « بايامهِ يسود العدل فيسكن الذئب مع الحمل ويربض النمر مع الجدي ويرعى العجل والشبل معًا » . . .

وفي الديناميس ما هو دالّ على رجاء المسيحيين وايمانهم بالقيامة وانتظارهم لدار الخلود بالطمأنينة والآمال الطيّبة. وذلك ما وجدوا فيها من تمثيل اخبار الاسفار المقدسة التي تدلُّ على النجاة من البلايا وعلى الفرج بعد الشدّة . كصورة ابراهيم الخليل وهو يتأهّب لتضحية ابنهِ اسحاق اذ يناديهِ الملاك بالّا يفعل ويدلُّهُ على كبش يقرّبهُ بدلًا منهُ (انظر الصورة ٤). وكصورة أيوب البارّ جالسًا على مزبلتهِ مقاسيًا لاوجاعهِ بيد انهُ لم

الدياميس في رومية

١ طبقات الارض التي حُفرت فيها الدياميس

٢ القبور في الدياميس

٣ حفّار الدياميس

٤ صورة ابراهيم واسحاق في الدياميس

٧ اكليل الشوك

٨ حمل الصليب

٥ دانيال في جب الاسود

٦ سنة البارّة وشيخا اسرائيل

يقطع املهُ من عون ربّهِ كأنهُ يردّد قولهُ (١٩: ٢٥): « اني لعالمٌ بانّ قاديَّ حيّ . . . وتُلبس هذه الاعضاء بجلدي ومن جسدي أعاين الله . . . فعيناي تريانهِ لا غيري » . وكيوسف ناجيًا من مكايد اخوتهِ مستوليًا على مصر. وكيونان خارجًا من بطن الحوت (انظر الصورة في المشرق ٩: ٣٤١). وكدانيال في جب الاسود (انظر الصورة ٥). وكسوسنة البارّة التي انقذها الله من تُهمة الشيخين الفاجرين وقد صُوّرت في الديامس صورةً رمزيّة مثّلوا فيها سوسنّة بصورة شاة فوق رأسها اسم سوسنّة وعلى جانبيها الشيخين بصورة ذئبين كاسرين (انظر الصورة ٦). وكل هذه الصور منقولة عن تاريخ اسفار العهد القديم. وهناك صور غيرها نُقلت عن العهد الجديد كشفاء المخلّع وقيامة لعازر ونجاة بطرس من حبس هيرودس الى غير ذلك مما يحيي الرجاء ويبعث الأمل ويثلج الصدور بهجةً

﴿ تعاليم الديامس ﴾ على انّ الآثار المودعة في الديامس لا تشهد فقط على رجاء اصحابها ومعتقدهم الوطيد بقيامة الاجساد بل هي اعظم واوضح شهادة على دين المسيحيين الثابت واستمساكهم بتعاليم الرسل وصياتهم للمعتقدات التي اوصى بها السيد المسيح ليعتهِ المقدسة. فلو افترضنا فقدان الاناجيل الطاهرة التي هي اليوم بيدنا فانّ آثار الديامس كافية لتوقفنا على كل سيرة ابن الله وتعاليمه وما اوحاهُ الى البشر. على انّ المسيحيين الاوّلين لم يقصدوا برسم هذه الآثار غايةً أخرى سوى ان ينعشوا في قلوبهم روح التُقى والثقة بالله في محنهم وشدائدهم وها هي اليوم قد قامت كشواهد صدق تُعلن للعالم كلهِ بصحة الدين المسيحي وقدمهِ وثباتهِ الدائم

اما سيرة السيد المسيح فتجدها في الديامس متسلسلةً متواصلةً منذ تجسّد الربّ حتى صعودهِ الى السماء. فهناك صورة مولدهِ في بيت لحم. وصورة المجوس القادمين من المشرق ليقرّبوا لهُ الهدايا (راجع المشرق ١٠: ١٠). وصورة معموديّتهِ بيد يوحنّا المعمدان مع حلول الروح القدس عليهِ على شكل حمامة. وصور شتّى لسيرهِ مع رسلهِ الكرام ولاصطناعهِ المعجزات كشفاء المرضى والعميان والبرص وتوفير السبعة الخبزات. وصورة دخولهِ الى اورشليم راكبًا على أتان وصورة العشاء السرّي وغسل ارجل التلاميذ وتوقيف الربّ في بستان الزيتون وامتثالهِ لمام حنان وقيافا وبيلاطس وتكليلهِ بالشوك وحملهِ للصليب (انظر الصورتين ٧ و٨) ثم قيامتهِ المجيدة من بين الاموات (اطلب

المشرق ٩ : ٣٣٨) وظهوره لتلاميذه . فترى انّ الاناجيل قد اكتسبت باكتشافات صور الديامس برهاناً جديداً قاطعاً على ما تضمّنت من اخبار حياة المسيح وتعاليمه

لا بل تجد في صور الديامس بيّنةً صادقةً على اعتقاد المسيحيين الاوّلين للاهوت السيّد المسيح فان تلك الصور تمثّلهُ بكل الهيئات الدالّة على عظمته وسيادته . وتعليمه الالهيّ فيُرى تارةً وهو منتصب ويده الصولجان وتارةً وهو جالس على كرسيّ كالملك القادر او تُرى الكرة عند اقدامه وعلى جانبيه الملائكة . وحيناً تُجعل في يده عصاة الحكم كعصاة موسى وخصوصاً عند اقترانه للمعجزات وحيناً يصوّرونهُ وبيده سفر الحياة . ومن شاراته الالهيّة انّ صورتهُ على هيأة شابٍ بلا لحيةٍ اشارةً الى ازليّته

ومن العقائد الراهنة التي تشهد لها الديامس فتنفي كلّ مزاعم اعداء الكنيسة الرومانيّة وتثبت معتقد الكاثوليك رئاسةَ القديس بطرس الرسول على الكنيسة جمعاء فانّ التصاوير المتعدّدة التي اكتُشفت هناك اوضحُ تفسير لكلمة الربّ لبطرس (متى ١٦ : ١٨—٢٠) : « انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي ولن تقوى عليها ابواب الجحيم وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكلّ ما تربطهُ على الارض يكون مربوطاً في السموات وما تحلّهُ على الارض يكون محلولاً في السموات » . ولقوله ايضاً لرسوله (يوحنّا ٢١ : ١٥—١٧) : « ارعَ خرافي ارعى نعاجي » . ولا حاجة للاطالة في هذا الباب اذ ان المشرق قد خصّ بهِ سابقاً مقالة واسعة عنوانها « الرئاسة البطرسيّة في ديامس رومية » فلتُراجع (المشرق ٦ : ٧٧٥—٨٥٨)

ومما تمتاز بهِ كنيسة المسيح الاسرار الخفيّة التي ورثتها من منشئها الالهيّ . فهذه الاسرار قد رُسمت ايضاً على جدران الديامس باشكال مختلفة زاهية تثبت بلسان حالها معتقد المؤمنين وايمانهم المستقيم . واسُّ كلّ الاسرار المسيحيّة المعموديّة فانّ الديامس لم تصوّر فقط صورة عماد المسيح كما سبق بل أبقت لنا عدّة تصاوير للمعموديّة وكذلك وجدوا في الديامس اجرانا كانوا يخطسون فيها المعمّدين كما كانت العادة جاريةً في ذلك الوقت وكما يألفها الى يومنا الشرقيون (انظر الصورة ٩)

ومن آثار سرّ التوبة مقاعد وجدوها مفردةً في بعض زوايا الديامس فارتأى العلماء انّها كانت للكهنة يجلسون عليها ليسمعوا بها اقرار الخطأة بذنوبهم فينالوا عنها الغفران

وليس في الديامس آثار اوفر واجمل وادقّ من آثار سرّ القربان الاقدس فتراه

حيناً بالرموز المشيرة اليهِ كتحويل السيد المسيح للماء في عرس قانا الى الخمر تنويهاً بتحويل الخبز الى جسد الرب وكمعجزة السبعة الخبزات والسمكتين اذ تشبع الرب الوفاً من الجياع. وحيناً بالدلالة الصريحة كصورة المشاء السري وصورة السيد المسيح على شكل الراعي الصالح وبقربهِ الخبز السري والخمر اللذان يقوت بهما النفوس وكثيراً ما يرسمون صورة السمكة الدالة بحروفها اليونانية على اسم المخلص ولاهوته. وكل ذلك تجدهُ في مقالة سطَّرها حضرة الخوري بطرس عزيز النائب البطريركي على الكلدان في حلب واثبتها في المشرق (٤: ٦٧٢—٦٨١) تحت هذا العنوان « الافخارستيَّة في العاديَّات المسيحيَّة » فعليك بها

فهذه خلاصة تعاليم الديداميس اذَّخرها الله لاثبات دينهِ الى أيامنا لتقوم كشواهد حيَّة بازاء الجاحدين لصحَّة النصرانيَّة وافحاماً لمناقضي تعاليم يسمة الله. فلهُ تعالى المجد والشكر اذ لم يدع ابناء النور العربيَّ في وجه رياح الاضاليل لكنَّهُ ثبَّت ايمانهم على حجر الزاوية الذي لا يصدم عليهِ احدٌ الا تحطَّم. وحجر الزاوية على قول الرسول المصطفى انَّما هو المسيح يسوع (افسس ٢: ٢٠) تبارك اسمهُ الى الابد

ديوان

سلامة بن جندل السعدي

نشرهُ لاوَّل مرَّة الاب لويس شيخو اليسوعي

مقدِّمة

افادتنا مجلَّات المستشرقين انَّ العلامة الفرنسوي الفاضل المسيو كلمنت هوارت (M^r Clément Huart) في جلسة نادي العلماء الفرنسويين الواقعة في كانون الاوَّل المنصرم بشَّر رصفاءهُ باكتشاف مهمّ حظي بهِ في بعض خزائن كتب الاستانة اعني مكتبة ايا صوفيا. وما الاكتشاف المذكور سوى وقوف جنابهِ على نسخة من ديوان احد شعراء الجاهليَّة المسمَّى سلامة بن جندل الذي رأى لنشر شعرهِ فوائد خطيرة سواء كانت لغويَّة ام ادبيَّة